(المنار) انا نشكر لصديقنا الاستاذ اليافعي غيرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا وإياه من الغرباء الذين يطهرون السنن كما ورد في بعض روايات الحديث . ثم نشكر له حسن ظنه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطأ وزلل وإطراؤه إيانا بالالقاب والنعوت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه وبين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فلا نرى ان نبحث في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يمله القراء ويعسر على أكثرهم ضبطه وربطه بأصله ومن كان مستقل الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين او المتناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد أخطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقينا المتناظرين .

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث وإفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فسنقول فيها قولا مختصرا مفيدا ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

﴿ ايضاح وانتقاد ﴾

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فننشرها ونجيب عنها وهي :

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاما) وبعد فيظهر ان المنار في جوابه على سؤالي الانتقادي المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣ م ١٢) لم يتمكن في معرفة قصدي من الانتقاد أو السؤال وأنا بغاية الايجاز اعيد عليه تفصيل مقصدي وما انتقده عليه .

لا يخفى ان كل انسان يهمه مستقبله وان شئت قل تهمه الآخرة أكثر من

الدنيا ولا يمكننا ان نجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤكم على آرائه يقولون إن الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين . فريق للجنة وفريق للسعير وإن شئت قل فريق للهناء وفريق للشقاء ..أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التقسيم فهي غير معلومة للمنار أو لابن تيمية الذي يقول :

واصل ضلال الخلق من كل فرقة　　هو الخوض في فعل الاله بعلة

نترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقتا (وان كنا نعتقد بفساده) ونتأمل لماذا ؟» يتبع ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل الانساني ... هل الاسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه النتائج ؟ ام النتائج الاخروية المقررة نفسها علة للاسباب الدنيوية ؟ ... أقصد اذا كان رجل كتبت له السعادة في الآخرة عند الخالق .. هل يوفقه الله تعالى لاسباب السعادة في هذه الحياة حتى يفيله في الآخرة ما قد تخصص اليه «؟» من قبل ليكون كما هو «؟» سعيدا ؟ .. أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان يتوفق «؟» لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيميه

فمن كان من أهل السعادة أثرت　　اوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من اهل السعادة لم ينل　　بامر ولا نهي بتقدير شقوة

ومختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته باوامر الله فيتبعها ليكون كما لا بد أن يكون .. والمكتوب من قبل للشقاء «؟» لا تفيده المواعظ ولا الاوامر ولا النواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا .

اذا علم المنار كل ما تقدم ووافق عليه فانا من جهة أخرى اقول له لا يهمني الآن فرقة القدرية ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالريشة في الهباء كما اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ

وكل الكلام الحلو الجميل الذي ذكره المنار في تفسير معنى القدر وما ذكره

في (٨ ـ حكم الاسلام في عمل الانسان) مسلم به بل القرآن ماهوا كثر وأحكم وأمتن

(٢ ـ العقيدة) العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة فتضر .. وإما ان تكون صحيحة فتنفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب تحكيم العقل في كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقد جازما ان تقسيم الخلق على الشكل السالف من أول العقائد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضا . ولا يخافن المنار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عند السؤال بشرط ان لا اتعدى القرآن والعقل . فلنترك ذلك ايضا موقتا

(٣ ـ اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتقد المسلم في دينه من حيث كونه مسلما آمن بالله وحده و باليوم الآخر ؟ . لا شك انه افضل الاديان . بل ايد القرآن ان من لم يكن في بواطنه « ؟ » مخلصا وخارجا عن مبادي الاسلام كانت له النار حتما كالآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » فضعف اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للاسباب المتقدمة الى الاعتقاد السالف بان الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلا علة تجد منها « ؟ » ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل . وان المسلم موفق من الله باعماله الى السنن التي توؤل به الى الجنة وغيره الى السنن التي تؤدي الى ضدها او الى الشقاء

(٤ ـ الكلام بحسب الواقع) ان بكلامي هذا للمنار اتكلم بالاغلبية العظمى « ؟ ؟ » الظاهرة عند المسلمين وما عليه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان المتنورين النوادر الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر بيانهم وقوة عارضتهم لتحليل « ؟ » أي فرض عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجد (؟) مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وصاحب المنار مثل الغزالي وابن خلدون ممن ملؤا الدنيا بفصاحتهم وقوة بيانهم مالا يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريبا . ولا قدم شيئاً للامة محسوسا ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي و يطلب صاحب المنار . ولم تزل ساقطة كما كانت تقريبا « ؟ » لواردنا ان نعمل بينها و بين غيرها نسبة . وغرضي ان نتوصلوا لتأصل « ؟ » هذا الداء الذي هو اصل البلاء حتى يكون اصلاحكم المنشود

للامة فعال مؤثر «؟» لا يزول . وليس كمن يكتب على الماء لماذا ؟ . لانه اذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الانسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فالواسطة ان حسنت او ساءت لا تهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية المعول عليها مقررة ومعلومة .

(٥ ــ مثال عن حال تفسير الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكرما يا صاحب المنار مثلا : رجلان وقفا امام ادارة المنار احدهما يسمى مسلما والثاني غير مسلم والاول اعلن «؟» من ادارة المنار انها ستحمله الى حديقة الازبكية ليتمتع بما فيها من الجنات والمسرات . والثاني اعلنته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء ولكن اخبرتهما معا في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة المنار والحديقة مملوء بأنواع المسرات وهو لهما معا فمن سار بقدميه وتأمل بعقله ولسنن الكون (؟) والنظامات الآلهية الى ما في الطريق (؟) تمتع «» وتنعم أي تنعم ومن وقف منتظرا مركبة المنار فليس له شيء مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان ... غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المعين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بلا سبب وبلا جواب ان سأل

افتكر ان المنار عرف مقصدي من هذا المثال فداخل الحديقة التي عدت «؟» للمسلم هي الجنة وخارجها لغير المسلم هي النار «؟» . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولهما معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم وبها مشترك الحياة بين الجميع

(٦ ــ المسلمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتحصلوا على كل شيء في الطريق ونالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صدر الاسلام فتقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سعيدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوم مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع الفاني فلنتزهد ونتقشف في الحياة ولا نبحث على اكثر من قوت يومنا فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف لسعادة الروح بحسن المآل (ولا شك ان العقل الذي يجعل اساس السعادة

بالعقيدة من السهل عليه تجويز هذا الوهم) ولقد تنابع التقاعد وعدم الاهتمام للحياة بين الامم الاسلامية حتى لو سألت بعض المتفقهين الذين تغلب أفكارهم بين اكثر الناس عن افكار مثل صاحب المنار الثبرة عن سبب تقدم الامم الغير اسلامية الحالي والماضي . اجابوك هؤلاء لهم الدنيا ولطوها وزينتها والعبرة بالاواخر والحياة الابدية ولقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الاخذ بالاسباب والتأمل للنتائج الطبيعية العالية والسنن الآلهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على التقشف وترك الدنيا(؟) وان كان صاحب المنار له في ذلك تأويلا (؟) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أو ما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعلل تأخر المسلمين الدنيوي وانحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكنوا عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لها . . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الدنيوية للعلة الاخروية) يحتم بوقوع «؟» تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب تتابعها ولزوم وقوعها أيضا . . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الأسباب التي هي حجة للنتائج «؟» مقدرة حتمية فالنتائج (أي الدنيوية خلاف الأخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالزام «؟» . . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس الا لتتميم رواية كلامية . . . واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الاسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال ولا داعي لاستخراج «؟» نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقي والهرب من القديم ـ ولا عيب على حكومات الاستبداد . . ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتغير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحوير القدر الإلهي(؟) القابض على الاسباب (حسب وهمهم) يد من حديد » وهناك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيدة في التقسيم المذكور فاسدة ولا أصل لها » ويكون الحكم العقلي على كل ما يحدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (؟)

(٧ - انتقاد المنار لكلامي) ـ لما أراد المنار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

في السؤال وجدت انه لم يصب الغرض الذي أرمي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكان عدم وقوع حادث وقع فعلا أم لا . . . اما أنا فقلت بالجواز وأقول به أيضا . . . . أما المنار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلا فقط ولم يزد . . . قرى في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة له من الازل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جهتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق وبعبارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هذا ما قاله المنار والحقيقة اني لم أقصد المسئلة بذاتها من حيث كونها مطلقة ووقعت فعلا بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطبيعية في كل ما يحدث وذلك مثلما يقال : فلان سرق قرطا من الذهب وجازته الحكومة لجنايته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل (؟) أن تقع منه السرقة فعلا . . . أما جوابي وجواب العلم والقرآن فنعم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعا لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب المنار السالف في مسئلة ولي العهد أشبه (؟) بقوله . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء . . . وهذا لا يعد جوابا عن المقصود . . . مع ان ما جاوب به المنار لم ننكره بل أيدناه في نفس السؤال لانه مفهوم و بديهي لا يحتاج لأن يقول عنه المنار . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال المنار في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسئلة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . وهي نفس الجملة التي قالها المنار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد المنار لغوا وكان جوابه فقط دالا على لزوم التمسك بالعقدة بالقسمة ؟ وتخلصا مما عداها

(٨ — سبب التمهيد للاصلاح الاسلامي) — يا صاحب المنار ان كنت تريد اصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا فان تغلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية و تطباق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكثر ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين مما رأوه ورأيتموه من تقدم الامم

الغربية التي اتبعت هذه السنن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالاجمال من حال المسلمين اليوم ـ وان الأخيرين «؟» من زمن بعيد آخذون في التدلي حتى صاروا الآن وراء جميع الامم تقريبا ـ وان المجهودات الكبيرة التي يؤديها أمثالكم كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود بالنسبة لتعداد الأمة الاسلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعيا لتثبيط همتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك المجهودات تصير كالهباء مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه تيقظ المسلمين الحالي راجع الى الضغط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسما أو فعلا لا الى الاصلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصلا بل يساعد على انتشاره لغرض الخلاص من سوء الحال لوقوف العقيدة امام العقول بالمرصاد «؟؟»

(٩ ـ الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيرا في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين الآن في بحر عميق وان ذلك من توابع البحث في العلم والارادة وان الفريين المسيحيين والمسلمين مشتركين «؟» في هذا الاعتقاد . قلت لكم . ان الفريين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة تقيد عقولهم ونظامهم الفطري الطبيعي . فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السالفة التي يتبجح المسلمون بوجودها «؟» بالفرض بينهم فهي «؟» ليست أصلا لاعمالهم وابحاثهم ولا هي مرجعا «؟» لمركز الاعتقاد في سعادتهم وشقائهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخرتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلا لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لا ينكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والتي لم يجعل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعا ثانويا «؟» ممن تركه كما حصل منهم من مئات من السنين الى الآن وهم معذورون لتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالنافخ «؟» في الرماد

ولكن الغربي بالعكس صار ينظر بالتجارب العلمية والعقلية وبمقاومته «؟» أكثر المعتقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان عمله في هذه الحياة هو أصل سعادته وشقائه هنا وهناك وكل ما عدا ذلك من المباحث القديمة ثانويا «؟» وصار يقدم نفسه وماله فداء

بارتياح لمقاومة كل مايهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الموافقة للعقل والشعور الانساني وكان الاصل الاول الذي أخذه لسعادته المحسوسة هو: «الحرية»

(١٠ ـ الخوف من التقليد مع وجود الداء) ماذكرناه الآن هو الداعي لان نقول للمنار في صحيفة (١٩٠ ج٣م١٢) (اذا كان المنار وابن تيمية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم « الدنيوي » ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأمم الحية التي لاتعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة للهمم والعقول «من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقائهم لا من حيث جهلهم لها بالمرة» فتزول منهم « أي همة المسلمين » اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية «مثل السيادة » الداعية لهذا التشبه لان الدين « عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالقسم » راسخ في الاذهان « كما هو ظاهر» من مبدإ وقتي أثره تقليدي . اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمبادي الطبيعية « والسنن الالهية المعقولة » التي تسير مع تقدم الامم الخ فهناك يكون الاصلاح من نفسه طبيعيا لاتهدده ولا تقاومه عقيدة

(١١ ـ الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم «؟» انكار هذ التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لان العقل والعلم لايقبله ثم ثبوت «؟» ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس «؟» وان نوم المسلمين مع اعتقادهم ما هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا «؟» لهم أصله باطل محض ـ مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا «؟» لما هو مكتوب عند الله عامة على «؟» جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصلا لما يترتب من الحوادث المذكورة ـ لان النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب «؟» ـ والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في العقل بشكل اجباري «؟» وان كانت البداهة تؤيد عدمه أو مهما تنوع فهم الاجبار المذكور بشيء من دلائل الاختيار وتعريف معناه وصفته «؟» كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ٣ م١٢) فكما

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منهما يلاشي الآخر وان كان لكل منهما تأثيرا «؟» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «؟» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن المعينة التي تلازمه وتلتصق به إلصاقا وبذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الخلق الطبيعي «؟» .

(١٢ - حل المسئلة) اذا كان المنار يتفضل بحل المسئلة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أكبر داءاتها (كذا) وما كان في نصائحه الفلسفية العمرانية التي يذكرها تباعا كمن يشد الحبل من طرف فتشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من المجهودات . بل ربما تدلت الامة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لا بد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة - واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الغراء فاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا احمصحص الحق طلبنا منه معاونتنا على تأييده والذود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا الاصلاح كالمنار ما استطعت وما توفيقي الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقاد على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣ م ١٢ اجلتها لوقت آخر حتى أرى ما سيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام

سواكن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩ كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

سبق لنا تقريظ كتاب للمنتقد (احمد افندي بدوي) اشرنا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لعدم تمكنه من درس الدين والتوسع في اللغة العربية التي يتوقف فهمه على اتقانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على ما فهمه من قصيدة لابن تيمية وعلى حكمه بأننا موافقون لابن تيمية فيه او في كل شيء — وكأنه أخذ ذلك من ثنائنا عليه — ولكننا نشرناه عناية به وحفزاً لهمته الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعداده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وتركنا الباقي على حاله الا أننا وضعنا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمعنوية وقد تكون العلامة لعدة اغلاط في الجملة كما لا يخفى على العارفين

ان كان يريد الانتقاد على في شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول إن ما ذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون واخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل الغزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الى معرفتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يعجل بهذا البيان حرصا على هداية هذه الامة وكراهة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقائها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ اشهر شيوخ الاسلام فيها إن كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المعقول وأما مسلكه فلم له نعقل وجها صحيحا

قرأنا مقاله المسلط فهمنا بعضه من العبارة وبعضه من القرائن ومنه جمل لم نفهمها بالمرة لان تركيبها غير صحيح . وقد علمنا منه أنه لم يفهم ما كتبناه كله وانه مبني الإيرادات والاعتراضات على شيء في ظنه يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتى انه ينسب الى المنار ما يدعو المنار الى ضده حتى في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في اللغة هما سببان فيما ذكره من عدم فهمنا لغرضه من انتقاده الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه هو لكلامنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويفكر فيه لما سنذكره في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل معنونة بالارقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث وانا نبين ما لا نرى بدا من بيانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالارقام ثم نقول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تنطبق آراؤنا على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل ايجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يعتقد فساد هذا التقسيم أي بطلانه وعدم صحته ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمد علمه من القرآن والعلم الصحيح !! وتقول ان القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى «٤٢ : ٧ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ٨ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزلي فمعناه انه ثابت في علم الله الأزلي لا معنى له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار للقرآن نفسه لا يصدر من مؤمن به وان كان ينكر أزلية علم الله تعالى به هو وغيره فحكمه عند المسلمين معروف أيضا . وأما قوله ان صاحب المنار وابن تيمية لا يفهمان علة هذا التقسيم فلا نجيبه عنه لأننا لا نحب أن نضيع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بما يشاء علم ذلك ام لم يعلمه

«٢» ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين

«٣» اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة ولغيره النار الخ فيه تفصيل بيناه في التفسير مرارا لجهل عامة المغرورين به وهو ان الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

وان المسلم الموفق مختار في اتباعه لنبيه والكافر المخذول مختار في عصيان نبيه وان علم الله الأزلي لا ينافي هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه مختار فيه كما بيناه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال المنتقد (ص ١٩٩ ج ٣)

« ٤ » الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا يقول أحد من المسلمين العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو لزيد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا تتبدل بل نقول ان الغاية مجهولة لنا وانها تكون على حسب أعمالنا الاختيارية « ان خيرا فخير وإن شرا فشر » ولكنها معلومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما لا تغيير فيه ولا تبديل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي لا تعلم ولا يعلم علاجها فعلاج الجهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا فيه كالنقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر انتفع به ألوف من الناس وانبث في المدارس الدينية والرسمية وسيعم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في الأمور الاجتماعية »

« ٥ » ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لضعف عبارته وهو غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ما عرفه منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بانهم سيكونون في الجنة وطائفة أخرى بأنهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمور سمى مجموعها الاسلام وناط دخول النار بأمور يعبر عنها غالبا بالشرك و بالكفر و بالظلم و بالفسق ولما تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (٤ : ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب « من يعمل سوءا يُجزَ به ولا يجدْ له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فناط أمر الغاية النهائية بالعمل لا بالانتساب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته فقال (١٢٥ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

حنيفا) الآية ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم ودينا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب » الآيات

فالأمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغير الاسلام فما بال المقلد ينتزع المشكلات من جهالات العامة ويحمل عليها بعض عبارات العلماء وغير العلماء من غير تمحيص ويورد ها على الدين او على العلماء المخطئين او المصيبين ؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والتربية الصحيحة وهو الذي ندعو اليه

«٦» ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المسلطة . وما تقلسف فيه من الاسباب والنتائج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفلسفية في هذه المسائل وقليل ماهم ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندي من اللغو

(٧) ما قاله في جواب المنار عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه و بعد وقوعه وحادثة مرض ولي عهد المانيا عبارته مسلطة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها . وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان تتم السرقة منه ان لا يسرق أم لا ؟ زعم ان مقتضى كلام المنار انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق . والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

أنظرنا في ذلك باعتبار ان العمل وقع من الرجل علمنا ان وقوع السرقة منه حتم لم يكن منه بد لا باعتبار الامكان الخاص بطبيعته كما تقدم بل باعتبار الواقع ونفس الامر ، وكذلك باعتبار علم الله تعالى فانه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع وإلا كان جهلا وذلك محال . فاذا لم يفهم المنتقد ما فهمه ويفهمه جميع العقلاء من كون الواقع قد انتهى الحكم فيه وانه لا يقال فيه نفسه كان يمكن أن لا يقع لأن هذا تناقض وإنما يقال ذلك باعتبار طبيعية الامكان وصرف النظر عن كون الامر قد وقع بالفعل — اذا لم يفهم هذه الدقيقة في الفرق بين الاعتبارين تنازلنا له عنها فانها مسألة عقلية محضة لا يترتب على الخلاف فيها أمر كبير

«٨» لقد تبسمنا عند قراءة قول المنتقد « يا صاحب المنار ان كنت تريد إصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا » فيالله العجب من شأن الانسان أينهى صاحب المنار عن التقليد بعد ان حاربه وحارب أهله اثني عشرة سنة ! ! ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المنار ! ! أما قوله ان الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية وانطباق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينتشر عند بعض المسلمين الا بسبب ما رأوه من تقدم الأمم الغربية باتباع هذه السنن وبسبب ضغط أوربا على الكثير منهم — فهو صحيح في الجملة ولا يضرنا ان تعدنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا اليه القرآن وأن نفهم منه ما لم نكن نفهمه نحن ولا آباؤنا الأولون فان كلام الله تعالى بحر لا تنفد حكمه بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١ : ٥٣ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) على اننا لا نسلم ان المتفقين بذلك والمقتدين به هم الواقفون على أحوال الغربيين دون غيرهم فالحق ان الامر ليس محصورا فيهم ، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة . واما قوله ان « المجهودات » الكثيرة التي يؤديها أمثالنا هي كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود فهو غير صحيح وليس لمثله ان يحكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائط أخرى كافية لمعرفة سير الاصلاح فيهم فالحق ان الاصلاح أوسع

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فنموه في كل مكان يبشر بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدرى » فزعمه ان تلك المساعي او المجهودات تصير كالهباء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته »

«٩» ان ما ذكره من فلك الغربيين للقيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصرح به مرات كثيرة حتى بالتعبير بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه عن المؤتمر الاسلامي (ص ٦٧٩ م ١٠) فلا حاجة بنا الا عادة قراءة المنار دروسه علينا، وما ذكره عودا على بدء من التهويل في مسألة ما سماه عقيدة التقسيم قد سبق آنفا انه مخطئ فيه لأنه في مخيلته أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فما هذا الإلحاح والتكرار اللهم صبرا، نعيد له القول — في مقابلة إعادته — إن ما نجعله هو الاصل في سعادة الغربيين من جعل العمل في هذه الحياة هو الموصل الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كالغول يقتال المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بهما جميعا ولكن نسترتب الى دهماء المسلمين من نزغات الجبرية وكمالى المتصوفة ما كان مع الجهل بحقيقة دينهم سببا من أسباب كسلهم الذي نشكو منه وشرحناه في المنار مرارا والتربية والتعليم الصحيحان يكفلان إزالة ذلك بالتدريج — ومنه النشر في الصحف الدورية — ولن يزول بغير ذلك

«١٠» ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرره غير مرة من استحالة الجمع بين عقيدة التقسيم و بين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية » وزعمه ان كل ما يصله المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للغربيين وانما يخرجون به من ربقة التقليد اذا محيت عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحالة يكون أظهر لأنه محاكاة للمقلد من كل وجه » ورأيه هذا يشعر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فهما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء » التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك ومحاكيه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكيه فيه هو الصواب» فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجربي

عند المسلمين القائلين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة انما ينالان بالعمل بمقتضى سنن الله تعالى في خليقته وشريعته وعملوا بذلك لا يكونون مقلدين للافرنج بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجربية ان الافرنج نجحوا بذلك

«١١» عبارة هذه المسألة أشد عسلطة من سائر المسائل ليس فيما يفهم منها شيء جديد الا تفلسف وتفصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خفاء ولو أننا حذفنا أمثال هذا لظن القارئون انه فاتهم شيء كثير

«١٢» هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مرارا طالب المنار بأحد أمرين إما ان يحمل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هو لنا ان هذه العقيدة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة وهو مستعد لبيان ذلك في المنار ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلا في القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ، ولست قادرا على تصور فهمه المسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقفل أدواء المسلمين عنده فأعمل له ما أحكم من العقد في خياله كما انني لست مكلفا تفصيل قول ابن تيمية فيها ولا سبق لي ان ذكرته وايدته وإنما ألصقه بي تمهيدا لما يريد التفرد به من بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين، ولا أنشره له بعد الآن في المنار شيئا مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام مسلط مضطرب ربما يحدث للضعفاء اضطرابا في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وانما ننشر في المنار أحد شيئين : إما بيان مسألة مما يحتاج اليه الناس ويستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة نفهمها ويفهمها مثلنا العارفون بلغتنا العربية الفصيحة واما انتقاد لمسألة معينة أوردناها في المنار بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطإ فيها والدليل عليه بعبارة فصيحة تفهم وما كتبه اخونا المنتقد أولا وثانيا ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه عناية به وتنشيطا له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفته قيمة رأيه وبيانه له

انه انتقد علينا اولا في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

ماقرأه منه ، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له يغلب على ظني انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطالا في هذه المسائل والثاني منهما كتاب كبير فيها اسم « شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطإه الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فهل يرضى احد من قراء المنار ان ننشر فيه مثل هذا الكلام

إنني اكتب هذا وانا متألم لاضطراري الى مفاجأة رجل محب للعلم والفلسفة والاصلاح ببيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة اللطيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الا إعجابه بما عنده فعسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فربما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من بيانه لها

* * *

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١١ : ١٠٥) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٤٢ : ٧) وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه كما قال في سورة الأعراف (٧ : ٢٩ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المنتقد من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينافيه عقل ولا علم بعد اثبات حقية الآخرة بل هو معقول واسبابه مشاهدة في الدنيا . بل نقول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فجعل بعضهم فقيرا و بعضهم غنيا و بعضهم رفيعا و بعضهم وضيعا كما قال (٤٣ : ٣٢ أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية ولكن قسمته تعالى لا تنافي ما وهبه للانسان من الاختيار والاستقلال فان هذا داخل فيها

(٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

علم الله تعالى فهو قديم بقدمه أزلي بأزليته فالقسمة فيه قديمة أزلية أيضا .

واما الفعل فلا تتحقق قسمة الجنة والنار بحسبه الا في الآخرة فهنالك تكون القسمة فعلية ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تتحقق لكل فرد في مدة وجوده في الدنيا لا في الأزل .

وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله وصفاته وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالايجاز في جواب المنتقد (ص ١٩٩ ج ٣) ونقول الآن كلمة وجيزة ايضاح هي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكونه التربية والعادة من الصفات في نفسه وبذلك يكون مصدرا لسعادتها او لشقائها بعمله فكل فرد من افراده يعمل بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يجعله في القسمة مع احد الفريقين وليس علم الله الازلي بالقسمة ملزما له بالعمل لأن تعلق العلم تعلق انكشاف لا تعلق فعل والزام على أنه يتعلق بالشيء وبضده .

واما القسمة بالفعل - وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع - فالضرورة لا تكون ملزمة ولا مجبرة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا سالبة لحريته واستقلاله فيه لانها أي القسمة بالفعل هي المعلول للعلة التي تكلم عنها وهل يكون الشيء علة لنفسه ومعلولا لها؟ هذا دور ظاهر - وقد بينا الدلائل النقلية والعقلية والوجودية على استقلال الانسان في الفكر والارادة - وهما مصدر اعماله التي يكون بها في القيامة من أحد الفريقين - في عشرات أو مئات من المواضع وبينها الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص ١٢٥ من طبعة المنار)

(٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمة وقد تمر السنين ولا تخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطرها في باله فتمر فيه مر النسيم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويتفلسف بقدر استعداده . وما زعمه المنتقد من كونها هي علة العلل لكسل المسلمين وتقصيرهم في أعمال الدنيا عن غيرهم من الامم فغير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمة الارزاق فهموها على غير وجهها وقد بينا ما فيها من الفساد والخطإ في التفسير والفتاوى

وغير ذلك من ابواب المنار مرارا كثيرة منها بحث التوكل والاسباب في التفسير «ص ٨٠١ — ٨٠٨ م ١١» الذي بينا فيه خطأ الغزالي في التزهيد في الدنيا .

وبيان خطا المخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لا بد من بيان الحق الصريح في تلك الامشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وانما هو بعضه او مقدمة له فانه بنشره المرة بعد المرة في صحف المنار المنتشرة يثبت في نفوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهؤلاء يدخلونه في تعاليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يعتمدون على المنار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكتوباتهم ولو مع عدم التنبه لمصدرها ومثل هذه الوسائل تمحو كما محت تلك التعاليم الباطلة من قبل

«٤» ان مسألة تعليل افعال الله تعالى تفاها الاشاعرة وقد أثبتها ابن تيمية وابن القيم بالدلائل والبينات النقلية والعقلية وأثبتا ان القضاء والقدر لا ينافيان اختيار الانسان واستقلاله الممنوحين له من خالقه ولا وجوب العمل عليه لدنياه وآخرته فتحامل المنتقد على ابن تيمية وحده لأبيات قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائبه

ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة ومشيئة واختيارا وأن قدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا ، وأنكر على جمهور الاشعرية ما يقولونه في الكسب ونقل موافقة بعض أئمتهم على ما قال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرايني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المنتقد ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المنتقد كرر الشبهة التي أوردها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرر زعمه بأن كل سعي فيه يكون باطلا مالم تثبت للمسلمين بطلان هذه العقيدة . ونحن نكرر له الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لا ضرر في اعتقادها وانما الضرر في فهمها على غير وجهها كفهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا الفهم لوازم باطلة وانا ما زلنا نبين حقيقة هذه المسائل وبطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها